

جامعة الشهيد حمه لخضر-الوادي-

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

الأستاذ : عمر بوصبيح

المادة : المراكز الحضارية في الشرق الأدنى القديم – المحاضرة الثالثة-

المستوى: السنة الأولى ماستر

التخصص : تاريخ الحضارات القديمة

السنة الجامعية: 2022/2021

السادسي : الثاني

حضارة المدن السومرية

1- المظهر السياسي

عُرِفَت الحضارة السومرية من خلال خمس مدن يمكن اعتبارها مراكز رئيسية وهي نيبور، أوروك، أور، أريدو ولجش، وقد ثبت تاريخيا من خلال اتفاق الآراء على أن كل مدينة تمكنت من تأسيس دويلتها المستقلة والتي كان يحكمها ملك، وإذا كانت نيبور وأريدو قد عرفتا على أنهما مراكز دينية فإن أوروك و أور ظهرت عليهما نزعة السيادة، وقد استطاعتا في عدة مرات أن تتوليا زعامة البلاد، ورغم المنافسة مع ملوك لجش إلا أن هذه الأخيرة لم تستطع النيل منهما.

وفي بعض الأوقات اتفقت مدن الجنوب مع مدن الشمال، وقد استطاعت كيش على وجه التحديد بسط سيادتها في العديد من المرات على بقية المدن، وكذلك فعلت أكشاك (Akshak) على دجلة، وقد ظهرت مدينة ماري على الفرات الأوسط في تلك الفترة إلا أن الشيء المؤكد أن هو عدم استطاعة أي أسرة من دويلات المدن في أن تنجح في بسط سلطاتها على البلاد من الشمال إلى الجنوب، وظلت هذه المنطقة موزعة بين القوات المتنازعة.

كان نظام الحكومة هو ما اصطلح على تسميته ب: semi-anarchie state أي النظام الشبيه بالفوضى، وهو النظام الذي استمر ما يقارب الأربعة قرون، والذي انتهى بظهور سرجون

الأكدي على مسرح السياسة كمحارب كبير، ويبدو أن ظهوره كان من الأسباب التي دعت العلماء لتسمية العصر السابق له ب: ما قبل السرجوني (Pre-Sargonid) وهي تسمية مفضلة عن مصطلح الأسرات الباكرة (Early Dynastie).

### • نشوء الدول المدن في بلاد سومر

حين برزت طبقة من النبلاء والأشراف لتلك القبائل القاطنة بالمنطقة استولت على السلطة والثروة في الوقت الذي تحول فيه الأفراد العاديون إلى فقراء، وبذلك كان عليهم أن يخضعوا لسلطة أصحاب الأمر والنهي. لقد أدى تزايد عدم المساواة في الملكية واستغلال العبيد والفقراء من الأحرار إلى نشوء سلطة الدولة التي أمنت السيادة لطبقة أصحاب العبيد الناشئة، ولكن التشكيلات الأولية للدول مازالت تحافظ بعد على التقاليد العشائرية والقبلية، فالملك في كثير من الأمور لا يزال يشبه رئيس القبيلة السابق، ومن أجل حل الأمور الهامة يستدعي مجلس الشيوخ وبعد ذلك يدعو إلى اجتماع شعبي يحضره كل قادر على حمل السلاح واقتصرت على ذلك الديمقراطية القبلية أو ما يسمى بالديمقراطية العسكرية.

إن توحيد البلاد لم يتم فوراً أو دفعة واحدة، ففي مطلع الألف الثالث ق.م نجد بضع عشرات من دول المدن، ومدن تلك الفترة كانت عبارة عن قرى اتحدت وشكلت عدة أحياء تدير نفسها بنفسها. وفي وسط كل حي وجد معبد للإله المحلي، أما القرى الصغيرة فقد خضعت لمثل ذلك المركز (المدينة) الذي ترأسه حاكم يسمى **باتيزر** يعتبر في نفس الوقت القائد العسكري والكاهن الأعلى، وعندما تزداد قوة مدينة ما تُخضع لسلطانها بعض المدن الأخرى وينال حاكم تلك المدينة لقب **لوغال** بالسومرية. وقد قويت تدريجياً سلطة الدولة والملوك الذين اعتمدوا على الأشراف والنبلاء، ولم يعودوا يحسبون حساباً للرعايا البسطاء بل يدعونهم باستمرار للقيام بجميع الفروض والواجبات الممكنة

## 2- النظام الاجتماعي

عاش سكان بلاد الرافدين الأوائل في مرحلة النظام القبلي، وقد لعبت النساء دوراً هاماً في الإنتاج خاصة في مجال الفلاحة، وقد حضين باحترام كبير فشاركن في اجتماعات القبائل والعشائر، وقد حفظت لنا الأساطير حول ذلك أنباء غير مباشرة تقول: "كان الآلهة والآلهات يناقشون الأمور معا في المجلس السماوي"، ولكن هذه الظواهر الخاصة بمرحلة نظام الأمومة أو سيادة الأم تلاشت

مبكرا لتظهر مكانها علاقات جديدة أصبحت فيها الأسرة الأبوية هي الخلية الأساسية في المجتمع، وقد اكتسب الأب السلطة على الزوجة والأولاد، وأصبح السيد المتصرف في أملاك الأسرة، ففي الألف الثالث ق.م أصبح يشترك في المجالس الشعبية الرجال المحاربون فقط.

ومع تطور أعمال الري وتعقيد الأدوات الزراعية لم تعد الأسر الكبيرة تستطيع منفردة التغلب على الأعمال المعقدة الضرورية لاستصلاح الأراضي وصد فيضانات الانهار، لذلك بدأت الأسر تتحد فيما بينها بغض النظر عن علاقات القرى، والأرض تقسم وتوزع، وتقوم مشاريع القناطر وإزالة أملاح التربة وغير ذلك.

### • نشوء العبودية

عندما تحولت المجموعات البشرية البدائية التي تسودها العلاقات القبلية إلى مجموعات فلاحية تسودها علاقات الجوار، ظهر استغلال الإنسان للإنسان الذي لم يكن ممكنا في السابق عندما كانت قوى الإنتاج على مستوى منخفض.

أصبح الأسرى الذين يؤخذون أثناء الاصطدامات بين القبائل يحولون إلى عبيد، وتلد النساء المستعبدة مع الزمن الذكور والإناث فيزداد بشكل تدريجي عدد العبيد من الرجال والنساء، وقد استخدمت جهود العبيد في أصعب الأعمال حيث أجبروهم على حفر الأقبية وبناء المنازل، وعلى عاتق النساء منهن وقع طحن الحبوب في أرحية يدوية، وقد وجد تنويه عن العبيد في أقدم الوثائق السومرية (حوالي الألف الثالث ق.م) ولكن عددهم آنذاك كان قليلا، فالطبقة الرئيسة من المنتجين تألفت من الناس الأحرار، كما يلاحظ أن السومريين لم يهتموا بعد الاهتمام الزائد بمجهود العبيد إذ كانوا غالبا ما يقدمونهم كضحايا للآلهة، ولكن فيما بعد زالت هذه العادة من الوجود وأصبحت إضاعة هذه القوى العاملة تعتبر تدبيرا سيئا لا يسلم به.

وقد كان العبيد منذ البداية مجردين من الحقوق وأطلق السومريون عليهم "طارقي أو خافضي العيون" أي مطأطي الرؤوس أمام الأسياد، كما أنه لم تسد المساواة حتى بين أعضاء المجموعات الفلاحية الأحرار (خلافًا لما كانت عليه سابقا المجموعات القبلية). إن ازدياد المنتوجات الفلاحية والصناعية أعطى إمكانية تصريف الفائض فنشأ التبادل السلعي أول الأمر، وكانت الحبوب مقاسا للأسعار ثم ظهر التبادل النقدي، واستعملت في الألف الثالث ق.م أحيانا سبائك من الفضة ذات وزن معين.